

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ 20/09/2013ر

الكِبْرُ هُوَ رُدُّ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي كَمَّلَ ذَوِي الْأَحْلَامِ بِتَعْرِيفِهِمْ عِلْمَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهَدَاهُمْ لِاسْتِخْرَاجِ ذُرْرِ الْأَحْكَامِ، فَاسْتَخْرَجُوهَا مِنْ بَحْرِهَا وَأَوْدَعُوهَا كَنْزَهَا بِدَقَائِقِ الْأَفْهَامِ، وَبَيَّنُّوهَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً بِالْأَنَامِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مَنْ أَتَى بِمَحَاسِنِ الْكَلَامِ وَعَلَى ءَالِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مَا مَرَّتِ السَّنُونَ وَالْأَيَّامُ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ. قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) ¹ وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٨) ²

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ اَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ أَنَّ مِنْ ذُنُوبِ الْقَلْبِ الْكِبْرَ وَهُوَ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ قَدْ نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِآيَاتٍ مِنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أَيَّ لَا تُعْرِضْ عَنْهُمْ مُتَكَبِّرًا بَلْ أَقْبِلْ بِوَجْهِكَ مُتَوَاضِعًا وَلَا تُوَلِّهِمْ شِقًّا وَجْهَكَ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَكَبِّرُونَ وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ تَمْشِيَ مِشْيَةَ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ﴾ وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مَعْنَى الْكِبْرِ وَعَاقِبَتَهُ وَكَيْفَ أَنَّ الْكِبْرَ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ سَبَبًا

¹سُورَةُ الْقَصَصِ

²سُورَةُ لُقْمَانَ

لِمَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ تَعْتَرِضُ الْكَثِيرِينَ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ فَضَلًّا عَمَّا يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ.

فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ أَنَّهُ قَالَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ "لَا
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" اه رَوَاهُ مُسْلِمٌ، أَيْ لَا يَدْخُلُهَا مَعَ الْأَوَّلِينَ،
وَالذَّرَّةُ هِيَ الْهَبَاءُ الَّذِي يُرَى عِنْدَ دُخُولِ نُورِ الشَّمْسِ مِنَ الْكَوَّةِ إِلَى الْعُرْفَةِ. وَصَحَّ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلِّ عَثَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ " اه مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ. وَعَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِبَرَ فَقَالَ " الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ " رَوَاهُ
مُسْلِمٌ وَمَعْنَى بَطْرِ الْحَقِّ دَفْعُهُ وَرُدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَمَعْنَى غَمَطِ النَّاسِ اخْتِقَارُهُمْ.

فَيَفْهَمُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يُرُدُّ الْحَقَّ عَلَى قَائِلِهِ
وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَائِلَ مُحِقٌّ إِمَّا لِكَوْنِهِ صَغِيرًا أَوْ فَقِيرًا أَوْ تَلْمِيزًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَيَقُولُ فِي
نَفْسِهِ " كَيْفَ أَرْجِعُ عَنْ رَأْيِي هَذَا لِقَوْلِ هَذَا التَّلْمِيزِ أَوْ الصَّغِيرِ وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا " فَلَوْ أَنَّ صَغِيرًا
تَلَقَّى الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ الصَّحِيحَ ثُمَّ رَأَى رَجُلًا كَبِيرًا فِي السِّنِّ أَخْلَلَ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ أَوْ بِشَرْطٍ
مِنْ شُرُوطِهَا أَوْ فِي وُضُوئِهِ مَثَلًا فَنَصَحَهُ فَرَدَّ الْكَبِيرُ النَّصِيحَةَ لِأَنَّهُ أَنْفَ أَنْ يُصْلِحَ لَهُ الصَّغِيرُ
يَكُونُ هَذَا الْكَبِيرُ قَدْ تَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ مِنْ قَائِلِهِ وَمِثْلُهُ الْآبَاءُ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ نَصَحَ أَبْنَائِهِمْ
ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ إِظْهَارًا لِضَعْفِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُخْطِئُوا فِي أَمْرٍ وَيُصِيبَ
أَوْلَادَهُمْ فِيهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا عَاقِبَةَ الْمُتَكَبِّرِ وَمَا يَجِدُ مِنَ الْعَذَابِ لَمَا تَأَخَّرُوا عَنْ قَبُولِ النَّصِيحَةِ
حَظَّةً.

وَأَمَّا اسْتِحْقَارُ النَّاسِ فَهُوَ أَنْ يَسْتَعْظِمَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَيَرَى النَّاسَ دُونَهُ وَهُوَ فَوْقَهُمْ وَأَفْضَلُ مِنْهُمْ.
وَلِلْكَبَرِ صُورٌ مِنْهَا إِسْبَالُ الثَّوْبِ لِلْحِيَلَاءِ أَيْ لِلْفَخْرِ فَهَذَا حَرَامٌ كَعَادَةِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَالْأَعْنِيَاءِ مِنْ
تَطْوِيلِ الثَّوْبِ وَجَرِّهِ عَلَى الْأَرْضِ لِتَبَاهِي فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ حِيَلَاءً
لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اه أَيْ لَمْ يُكْرِمْهُ بَلْ يُعَذِّبُهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَ شَعْنِي إِزَارِي يَسْتَرَحِي إِلَّا أَنْ أْتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ " لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ حِيَلَاءً " اه رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمِنْ صُورِ الْكِبْرِ مَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجَّلٌ جُمَّتَهُ أَيَّ شَعْرَ رَأْسِهِ الْمُتَدَلِّي إِلَى الْمُنْكَبِينَ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ أَيَّ يَمْشِي مِشْيَةَ الْمُتَكَبِّرِينَ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ أَيَّ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" اهـ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، أَيُّ هُوَ يَعُوضُ فِي الْأَرْضِ وَيَنْزِلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَأَعْلَمُ أَحَبِّي الْمُسْلِمَ أَنَّ مِنَ الْكِبْرِ مَا هُوَ كُفْرٌ كَبِيرٌ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ إِذْ إِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَمَعَ ذَلِكَ رَدُّوا دَعْوَتَهُ وَعَارَضُوهُ كَيْ لَا يُقَالَ عَنْهُمْ تَرَكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ أَسْيَادٌ عِنْدَهُمْ وَاتَّبَعُوا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ بِدَعْوَى أَنْ مَنْ اتَّبَعَهُ غَالِبُهُمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ.

فَأَحْرِصُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى تَصْفِيَةِ قُلُوبِكُمْ مِنَ الْكِبْرِ هَذَا الدَّاءِ الْمُفْسِدِ وَالصِّفَةِ الْمَذْمُومَةِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ الدَّمِيمِ فَلْيَدَاوِ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ بِخِدْمَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبِتَرْكِ التَّعَالِي عَلَيْهِمْ وَالْإِلْتِمَامِ بِقَبُولِ الْحَقِّ سَوَاءً كَانَ صَادِرًا مِنْ كَبِيرٍ أَمْ صَغِيرٍ، مِنْ حَقِيرٍ أَمْ أَمِيرٍ، إِذْ لَا يَخْفَى مَا فِي مَنْزِلَةِ التَّوَاضُعِ مِنْ شَرَفٍ عَظِيمٍ وَقَدْرٍ رَفِيعٍ، كَيْفَ لَا وَالنَّبِيُّ الْأَعْظَمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ اهـ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُتَوَاضِعِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ "اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا أَيَّ مُتَوَاضِعًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا أَيَّ مُتَوَاضِعًا وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اهـ أَيَّ الْمُتَوَاضِعِينَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِي رَسُولِ اللَّهِ نِعَمَ الْأُسُوءِ وَنِعَمَ الْقُدُوءِ وَرَزَقَنَا اللَّهُ حُسْنَ اتِّبَاعِهِ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَيْمَةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوهُ.

إِحْوَاهُ الْإِيمَانِ يَحْضُرُنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ أَلَا وَهِيَ أَنَّ مِنَ الْعِبَارَاتِ الْفَاسِدَةِ الْمُنْتَشِرَةِ الَّتِي يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِتَعَلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ "التَّكْبُرُ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ صَدَقَةٌ" فَإِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ فَاسِدَةٌ وَمَنْ يَقُولُهَا يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الدِّينَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّوَضُّعِ مَعَ الْمُحْسِنِ وَمَعَ الْمُسِيءِ فَإِنْ أَرَادَ الْقَائِلُ أَنْ يُجَافَاةَ هَذَا الْمُتَكَبِّرِ تَزَجُرُهُ عَنِ التَّكْبُرِ فَتَكُونُ صَدَقَةً حَقِيقَةً فَلَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي الْعَقِيدَةِ، وَلَكِنْ يُعَلِّمُ أَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ لَا يَجُوزُ قَوْلُهَا وَأَمَّا إِنْ أَرَادَ أَنْ الْوُقُوعَ فِي ذَنْبِ التَّكْبُرِ صَدَقَةٌ فِيهَا ثَوَابٌ فَهَذَا تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَخُرُوجٌ مِنَ الدِّينِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾³. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرُونَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾⁴. اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ

³ سورة الأحزاب

⁴ سورة الحج

فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدًى
مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَءَامِنْ رُوعَاتِنَا وَأَكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ